مقدمة

أحب أن أكتب عن الأماكن.. لكنى لا أرى فيما أكتب من قبيل أدب الرحلات.. وأحب الكتابة عن البشر فى حياتى.. لكنها ليست من قبيل السيرة الذاتية.. لكن تأمل حكايات البشر كل البشر.. والغوص فى تفاصيل الأماكن.. هى الدنيا فى رأيى.

عندما ذهبت للولايات المتحدة الأمريكية للمرة الأولى 2004.. لم يكن يشغلنى موقف الإدارة الأمريكية من الشرق الأوسط.. بقدر ما شغلنى علاقة المواطن الأمريكى بأرضه ومايحدث خارج حدود وطنه.. أما فى المرة الثانية.. فقد كانت رؤيتى لتلك العلاقة قد اتضحت عن ذى قبل.. وأصبح يشغلنى أكثر علاقة المواطن الأمريكى بالمواطن الأمريكى.. وفكرة الرمز فى الثقافة الأمريكية.. والتى تبدو واضحة فى معالم مدينة واشنطن.. فهى مدينة الرموز بجدارة!

أما فى فرنسا.. فقد وقعت فى هوى مدينة «ستراسبورج» بينما لم تستهونى «باريس».. وهو أمر قد يدهش الكثيرين.. تلك المدينة التى تضم خليطًا مذهلًا من الشرق أوسطيين.. من شمال إفريقيا وإيران والأردن وأكراد من تركيا والعراق.. وتضم أيضا العديد من الأفارقة من جنوب القارة.. أذهلتنى الكنيسة القوطية الشهيرة.. وصارت نقطة ارتكاز لكل جولاتى اليومية فى المدينة.. من ساحتها تبدأ رحلتى اليومية أو عندها تنتهى.

البنايات الألمانية التى شاهدتها فى مدن ألمانية.. تقترب كثيرا فى عمارتها من تلك التى فى ستراسبورج.. ربما لأنها كلها مدن حدودية.. وربما لأن

ستراسبورج نفسها على مدار تاريخها منذ أنشئت.. كانت حائرة بين ألمانيا وفرنسا.. حتى حسم أمرها لصالح فرنسا بعد حروب طويلة.. أدت لتدمير المدينة ثم إعادة بنائها مرة أخرى.

أما مصر.. فما كتبته عن أماكنها ربما يكون بذرة لنبتة كبيرة سوف أتمها فى يوم ما إن نشاء الله.. كتبت عن الحلمية.. نشأتى الأولى.. عن الأماكن التاريخية الإسلامية المحيطة بها.. مولد الرفاعى.. والرحلة المقدسة صعودا لزيارة مسجده.. ومسجد جاره السلطان حسن.. حى بولاق أبو العلا.. حى الثوار المصريين إبان الحملة الفرنسية على مصر فى القرن الثامن عشر.. الذى توارى خلف بالات من الأقمشة والملابس.. شارع الجلاء.. وما أدراك ما شارع الجلاء.. وما حول شارع الجلاء.. الأهرام والأخبار والمطبوعات الصادرة عنها.. ميدان طلعت حرب.. وقهوة ريش.. ميدان العتبة.. ودرب البرابرة.. قصر البارون والهالة المرعبة التى أحاطته منذ سنوات طوال.. سيناء وبنى سويف والإسكندرية وأسوان.

رغم حبى لكل تلك الأماكن.. إلا أن الذى يمنحها هذه الروعة هو حياة البشر الذين يحيون فيها.. والذكريات التى يتركونها فيها.. تماما على غرار ما كتب الرائع «نجيب محفوظ» فى رائعته «حديث الصباح والمساء».. بشر يولدون.. ويعيشون على أرض بعينها.. ثم يرحلون.. ليأتى بعدهم بشر آخرون.. يعيشون على نفس الأرض.. ثم يرحلون.. ليأتى بعدهم بشر غيرهم وهكذا!! الأرض لا تموت.. لكنها تتغير.. لأنها تأخذ من روح من عاش عليها على مر السنين.. البنايات قد تتهدم لتبنى غيرها.. لكن بصمة البشر تظل فى تلك الأماكن.

هذه هى سطورى بين أيديكم.. رصد لحياة البشر فى الأماكن.. على أى أرض.. فى أزمنة مختلفة.

إيمان إمبابى